

Heroic act from Hobeika but mismanagement by Bachir

من العمليات البطولية الخارقة لجهاز الأمن بقيادة إيلي حبيقة: إسترداد الغرفة الفرنسية يرويه القائد مارون مشعلاني (عام ١٩٨١ بعد سقوط الغرفة الفرنسية التي تعلو ٢٥٤٠ متراً عن سطح البحر وتضييق الخناق على مدينة زحلة التي كانت تتعرض للهجمات المتلاحقة من جنود الوحدات الخاصة السورية كان لا بد من إعادة السيطرة على هذا الموقع الإستراتيجي. طُلب من "وحدة مكافحة الإرهاب بقيادة"مارون مشعلاني" التابعة لجهاز الأمن بقيادة "إيلي حبيقة" القيام بهذه المهمة)

لإدارة معركة زحلة عن كثب، حوّلت قيادة القوات اللبنانية فندق "المزار" في عيون السيمان إلى مقرّ رئيسي أدار منه بشير الجميل شخصياً العمليات العسكرية، حاول مع إيلي حبيقة إيجاد طرق تموين بمنأى عن مرمى الطلقات الصادرة عن "الغرفة الفرنسيّة"- التي أصبح إسمها "ألفا برافو"- لكن الفرضيات سقطت الواحدة تلو الأخرى، بسبب هذا الرصد الذي لا يمكن تفاديه.

بعد فترة طويلة من التفكير، نظر حبيقة إلى بشير وقال له: "لقد إنقضت ساعتان ونحن نحاول عبثاً إيجاد بديل. برأيي لا يوجد إلا خيار واحد لإعادة تموين زحلة. يجب أن نُعيد السيطرة على "ألفا برافو". تحت نظرة بشير المندهشة، تابع حبيقة: "أعرف أن هذا يبدو ضرباً من الجنون، وإمكانية النجاح ضئيلة جداً، نظراً إلى الوضع العام، ولكن علينا القيام بمحاولة إختراق أخيرة، وإلا شبابنا في زحلة سيكونون في وضع خطير. يجب أن تُنفذ العملية فرقة من النخبة، ورجال "مارون" مدربون على هذا النوع من الأوضاع. سأتصل به وأستمزجه رأيه". بشير الذي لا يزال يذكر عملية صليما والتي نُفذت قبل عدة سنوات وافق على الفكرة. تناول "حبيقة" جهازه واتصل بي وحدد موعداً في مركز الكرنتينا عند الظهر.

ما أن وصلت إلى الكرنتينا حتى توجّهت إلى مكتب "حبيقة"، بعد مصافحة حازّة، قال لي: "يا مارون، الوضع في زحلة صعب وطرقات الإتصال أصبحت مستحيلة السلوك منذ سقوط "ألفا برافو". ما رأيك بأن ننّفذ عملية خاطفة لاستعادة الموقع وفتح الطريق على المؤن؟ لدينا مشكلة واحدة: الطقس رديء جداً. عاصفة قوية تجتاح المنطقة وفق الأرصاد الجوية، ويبدو أن الطقس لن يستقرّ في المدى القريب". أخذت الكلام وأجبته: "أحتاج إلى بضع ساعات لتحضير كلّ شيء. سأخطركم ما أن أصبح جاهزاً. نلتقي غداً في المزار". (...)

كنت أعرف أنه يتوجّب علينا أن نراهن على ثلاثة عوامل لإنجاح عملية كهذه: لياقة بدنية كاملة، تجهيزات مناسبة، وأخيراً الإفادة من عنصر المفاجأة. (...)

توجّهت إلى مقرّ "غامّا زيرو" الرئيسي، لأحدّد مع "بيار" و "أبو" المسار الذي علينا سلوكه من عيون السيمان حتى نبليغ "ألفا برافو". لاحظنا من خلال الخرائط الطوبوغرافية عدّة مسارات ممكنة، تأخذ بعين الاعتبار عدّة عوامل تسمح لنا بأن نؤخّر الإشتباك إلى حدّة الأقصى وبالتالي الإفادة من عنصر المفاجأة. (...) إبحارنا سيتمّ باستخدام البوصلة. ركّزنا "أبو" وأنا على الخرائط مزوّدين بقوائم الزوايا وأدوات قياس الزوايا والآلات الحاسبة ورحنا نحسب إحداثيات الذهاب والإياب. أقلّ خطأ في الملاحظة من شأنه أن يُعيد بفرقة التدخّل السريع الأولى عن خطّها الأساسي ويحكم عليها فوراً بالموت المحتم. (...)

الساعة الثالثة فجرًا غادرت الفرقة مركز القيادة في الكرنتينا باتجاه عيون السيمان تحت وابل من الأمطار تحولت على طول المسافة إلى ثلوج كثيفة، والحرارة تهبط كلما زدنا ارتفاعاً، كانت الساعة الرابعة والربع فجرًا، عندما بلغنا مقصدنا. قفز الرجال من الحافلتين وحملوا عتادهم إلى الداخل، فيما توجهت إلى البهو. هيئة الأركان موجودة بكاملها. أُلقيت التحية على "بشير" و"إيلي حبيقة" وتوجهنا معاً نحو قاعة الاجتماعات، حيث كان عدة ضباط متحلقين حول خارطة مفرودة فوق طاولة كبيرة. أخذني "حبيقة" جانباً وقال لي: "من الحكمة تأجيل العملية، حتى تهدأ العاصفة. فالرياح شديدة والثلج يتساقط بكثافة، والبرد قارس والرؤية لا تتعدى المتر الواحد. العملية ليست ملحة ويمكن تأجيلها لبضع ساعات". نظرت إليه وأجبته: "من غير الوارد تأخير العملية أو تأجيلها. سننطلق عند طلوع النهار. على أي حال سأوجز المهمة للرجال على الفور.

جاء "بشير" و"حبيقة" ليطمئنوا للفرقة التي تضم ثلاثون مقاتلاً، ينوون تحت ثقل ٤٠ كلف من العتاد، حظاً موقفاً.

توجه الرجال نحو مصعد التزلج الذي نقلهم إلى قمة "المزار"، ومن هناك تابعوا سيراً لمسافة تتراوح بين ١٠ و ١٢ كيلومتراً ولفترة حوالي السبع ساعات. تساقط الثلوج كان يقلل من الرؤية التي كانت ضعيفة جداً في الأساس، التقدم يتواصل. نقضم السنتيمترات بجهد كبير. لدى إلتفاننا حول هضبة. رأيت ثلاث تلال متراصفة. دون جهد عرفت خيال "ألفا برافو". الهدف على بعد ٨٠٠ متراً.

قلت لرجالي: "سننقل بوحدات قوامها ستة أشخاص. سأتقدم مع "جميل"، "إيلي"، "حنّا"، "فؤاد" و"يعقوب" باتجاه هذا المنحدر. وهكذا سنكون على بعد حوالي ٥٠٠ متر من "ألفا برافو". ستغطوننا في حال تعرضنا لأي مأزق. عندما نتحرك، تأخذون مكاننا وهكذا دواليك". (...)

إقتربنا أكثر، لم يعد أمامنا سوى عدة أمتار وإذ بوابل من الرصاص ينهمر علينا، بصورة غرائزية غطسنا أعماق ما يمكن في الثلج فيما كانت كثافة النيران ووتيرتها تزدادان. إلى دويّ الدوشكا والكلاشينكوف أضيف مدافع الهاون من عيار ٦٠ و ٨٢ ملم، تحول الثلج الذي كان لسبع ساعات عدونا اللدود تحول فجأة إلى حليف ثمين، كان يمتص ويضعف إصطدام تلك القذائف القاتلة. أصدرت أوامري إلى "فؤاد"، "فيليب" و"سهيل" قناصي الفرقة التي بقيت في الخلف فتح نيران كثيفة، إنقضّ ٢٥ مقاتلاً على الهدف، حارس (العدو) بدا فجأة، لم يتسنّ له سوى إطلاق رشق واحد قبل أن يُقتل. كل شيء يسير بسرعة الآن.

خطّ رجالي فتح ناراً جهنمية. الرصاصات تصيب الحواجز، تخرق صفيحة المستوعب المعدنية التي كان السوريون وحلفاؤهم يقيمون فيه. مئات الرصاصات أُطلقت. طلقات RPG مسددة جيداً دمّرت تحصيناً كان رشاش دوشكا يطلق النار علينا، قناصونا أصابوا خزّانين للوقود فاشتعلوا وتسببوا بسلسلة انفجارات. اجتزنا الأمتار الأخيرة التي تفصلنا عن "ألفا برافو" الذي هرب منه قسم من قاطنيه.

عندما وصلت إلى المستوعب الأول، شققت الباب ورميت قنبلة يدوية. لم ينج أحد. فتحت فرقتي ممراً بين المتاريس مطلقة النار على كلّ ما زال يتحرك، وبعد بضع دقائق، أوقفنا إطلاق النار: لقد سقط "ألفا برافو" للتوّ.

تناولت جهاز اللاسلكي وناديت حبيقة: "هنا M2. أبلغ شارلي (بشير) أن "ألفا برافو" أصبح بين أيدينا. أحتاج إلى قصف مدفعي على شعاع ٥٠٠ متر حسب الإحداثيات التالية: ليما، تانغو، زولو. لقد هرب المحتلون، إنهم لا زالوا في الأرجاء. أطلقوا قذائف ١٥٥ ملم، أكرّر أطلقوا قذائف ١٥٥ ملم".

بحسب تقديري يلزم أقلّ من دقيقتين لنسمع الانفجار الأول. لقد مرّت بضع دقائق ولم تسقط أي قذيفة. كرّرت رسالتي عبر الجهاز، فردّ عليّ "حبيقة": "M2 هنا HK. طلبك رُفض من قبل شارلي (بشير) الذي يأمركم بترك الموقع فوراً

والعودة، لأن الإسرائيليين سيرسلون غداً طيرانهم لقصف هذا الموقع". إنطلقنا بالإتجاه المعاكس، نحو "المزار". بعد خمس ساعات وصلنا إلى مرأى من مصعد التزلج.

إنجاز كبير حقّقه هؤلاء الرجال الذين تحدّوا ظروفًا مناخيّة رهيبية، ودفعوا بحدودهم النفسيّة والجسديّة إلى أقصاها، وإنّصروا خلافاً لكل التوقعات، فباتوا يشكّلون أسطورة.

(بتصرّف من فصل إسترداد الغرفة الفرنسيّة وهو مكوّن من ١٧ صفحة في كتاب "صليب الحرب" للرفيق مارون مشعلاني، منقول بتصرف عن صفحة صعود أبو شبل).